القدس في الخطاب الأصولي والإعلامي الإسرائيلي المحددات والإستراتيجيات

د. رانيا فوزي

باحثة مصرية متخصصة في تحليل الخطاب الإعلامي الإسرائيلي

يرتبط التطرف الإسرائيلي عادة بالأصولية اليهودية، إذ لعبت الجماعات الدينية المتشددة دوراً بالغ الأهمية في سياسة الاستيطان، وترتيب أجندة الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، وذلك على خلفية سيطرتها على المجتمع الإسرائيلي ومؤسساته.

وعلى ضوء ذلك، باتت فتاوى كبار الأصوليين اليهود تحتل مكانة رئيسة ضمن مكونات آليات التحكم والسيطرة في بلورة سياسات صانع القرار الإسرائيلي، وفي بعض الأحيان تكون هي المحرك الرئيس لموقف المجتمع تجاه بعض القضايا التي تتعلق أيضاً بالقرارات المصيرية التي يجب على القائمين في الحكم اتخاذها بشأن وضعية القدس ضمن أي مفاوضات للسلام مع الفلسطينيين.

ولذلك قمنا بالتركيز على وضعية القدس ومعتقد «الوطن البديل» للفلسطينيين في الخطاب الأصولي والإعلامي الإسرائيلي وما طُرح به من معالجة ومغالطات تهدف لاستبدال فلسطين بـ«دولة فلسطين الجديدة»، إلى جانب وضع سبل وآليات المواجهة إعلامياً على النحو التالي:

أولاً- السلام ومعتقد الوطن البديل في خطاب الأصوليين اليهود:

لا شك في أن الأحزاب الدينية في إسرائيل تلعب دوراً مُهمّاً في ازدياد سلطة الأصولية اليهودية وقدرتها على توجيه السياسة الإسرائيلية والزيادة في تطرفها إزاء عملية السلام، فقد أصبح للتيار الديني المتطرف قوة كبيرة لا يستهان بها في التأثير السياسي، مما يجعل الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تتماهى مع تطرف الجماعات الأصولية؛ لضمان استمرارية بقائها في سدة الحكم.

ونظراً للتطورات الدينية والسياسية التي طرأت على إسرائيل بعد إقامتها، تشكلت مواقف الحريديم من القضايا السياسية، وخاصة في علاقتهم بالسلطة السياسية القائمة في الدولة، ولعل من أهم الظواهر التي أدت إلى ازدياد النفوذ الديني، تبلور الأصولية المتطرفة التي تنتهج سياسة العنف ضد العرب والفلسطينيين على وجه الخصوص.

فقد كانت حادثة اغتيال رئيس الوزراء الأسبق «يتسحاق رابين» بمثابة مؤشر على خطر الحريديم على المجتمع الإسرائيلي نفسه؛ إلى حد أن بعض المحللين السياسيين يعدون هذه الحادثة فاصلاً بين عصرين في التاريخ الحالي للمجتمع الإسرائيلي، حيث عمل الحريديم على توظيف النصوص الدينية وإضفاء تفسيرات جديدة عليها لخدمة أهداف التطرف الديني ولتأصيل الاتجاه إلى العنف والإرهاب للحيلولة دون تحقيق أي اتفاق سلام بين إسرائيل والفلسطينيين[1].

ولذلك، فالنظرية الصهيونية الحديثة هي المسؤولة عن صياغة «معتقد» أن القدس مدينة يهودية تاريخياً وروحانياً، وذلك تكميلٌ لمفهوم «أرض إسرائيل» من منطلق الفكر الصهيوني[2].

وعلى ضوء ما سبق، عكف الخطاب الحريدي على توظيف النصوص الدينية لتبرير الاحتلال والاستيطان والإبادة الشاملة للشعب الفلسطيني من خلال التمسك بمعتقد الوعد الإلهي لبني إسرائيل بأرض إسرائيل (أرض فلسطين)، وكذلك اعتبار أن معاداة الأغيار (غير اليهود) من الأعمال التي يثاب عليها اليهود، إلى جانب تأصيل دعاوى اضطهاد اليهود في العالم، واستدرار عطف المجتمع الدولي لإخفاء أعمالهم وتدابيرهم بنشر العنف وتدمير الآخرين.

ولذلك وظّف الأصوليون خطابهم الديني؛ للتحفيز على الصراع الدولي من خلال شيطنة الآخر، وتبرير استخدام العنف وقتل الأبرياء، حيث يصنف الآخر على أنه عدو الله، مما يبرر به الأصوليون استخدام العنف نحو غير اليهود كأداة شرعية، وهو ما يدخل ضمن إطار البعد الديني في الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني[3].

وعلى خلفية تأثير الأصولية اليهودية على أجندة السياسة الخارجية، فقد أعلنها رئيس الحكومة «بنيامين نتنياهو» صراحة أثناء اللقاء التاسع الذي عقده في منزله في إطار دائرة الكتاب المقدس التقليدي بأنه لا مستقبل يهودي من دون «التناخ» (الكتاب اليهودي المقدس)[4].

وفي ضوء تحليل المحتوى الضمني للخطاب الديني الأصولي في إسرائيل تجاه أي اتفاق سلام مع الفلسطينيين، يتضح لنا مدى التداخل الفكري الواضح بين الرؤى التي يروّجها كبار الحاخامات الحريديم وبين مرتكزات السياسة الإسرائيلية تجاه قضية النزاع الإسرائيلي- الفلسطيني والتي تجلت في مسعى صريح لتحريض قيادتهم على قتل وتدمير الفلسطينيين، وهو ما يدحض أي تكهنات بشأن إنهاء الصراع وإقامة دولة فلسطينية في ضوء أي تحركات أميركية لتحقيق السلام بين الجانبين.

فهناك اعتقاد يسود بأن انزياح المجتمع الإسرائيلي نحو اليمين له ارتباط وثيق بتعاظم ظاهرة التدين وازدياد نسبة المتدينين والمحافظين دينياً في إسرائيل، فقد وجهت «إيليت شاكيد» عضو الكنيست عن حزب اليمين الجديد ووزير الحرب الحالي السابق «نفتالي بينت» في وقت سابق دعوتهما للجيش الإسرائيلي للتصرف بمنتهى القوة ضد الفلسطينيين، وذلك على خلفية الأوضاع في غزة[5].

كما قد سبق أن امتدح عضو مجلس الحاخامية الكبرى وحاخام مدينة صفد «شموئيل إلياهو» في أحد الدروس الدينية الأسبوعية الدعوة التي وجهها بينت وشاكيد وأثنى على مطلبهما باستخدام العنف المفرط في التعامل مع الفلسطينيين، مؤكداً أنه لا يتعين على الجنود التصرف بجبن[6].

وفي ظل تحكم الأصولية اليهودية في دفع مسار الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني، عمل خطاب الأصوليين اليهود على ترسيخ استحالة إحلال السلام بين إسرائيل والفلسطينيين على أساس مبدأ حل الدولتين واستحالة التفاوض بشأن القدس ضمن أي اتفاق سلام

مستقبلي مع الفلسطينيين، معتبرين أن أرض فلسطين المحتلة هي أرض مقدسة أُعطيت لبني إسرائيل بوعد إلهي، وهو ما سبق أن عبّر عنه الحاخام «نير بن أرتسي» أحد أشهر المفتين في إسرائيل في خطبته الدينية الأسبوعية التي نشرها موقع «كيكار هشابات» الإخباري الحريدي بتاريخ 4/ 12/ 2015، قائلاً: تعمل الولايات المتحدة علناً، تتحدث مع الحكومة الإسرائيلية من أجل إقامة دولة فلسطينية. مُحرم مُحرم على الحكومة الإسرائيلية إعطاء ولو سنتمتر من أرض إسرائيل، فلا للاعتقاد بهذا السلام[7].

فهذه الفتوى المتطرفة للحاخام «بن أرتسي» نموذجاً، قد باتت تحول دون التزام الساسة الإسرائيليين باستحالة تطبيق صفقة ترامب للسلام بكل ما تحمله من خرائط لإقامة دولة فلسطينية حتى على جيوب منعزلة، نظراً لرفض الأصوليين اليهود المبدأ من أساسه.

وفي السياق ذاته، يسعى الخطاب الأصولي إلى إنكار حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة بتوطين الفلسطينيين في معازل وجيوب، وصولاً إلى وطن بديل خارج الأراضي الفلسطينية المحتلة، وفي ضوء الاعتراف الأميركي بالسيادة الإسرائيلية على القدس، بات الأصوليون اليهود في إسرائيل على قناعة باستحالة تحقق الحلم الفلسطيني بأن تكون القدس الشرقية هي عاصمة الدولة الفلسطينية المنشودة، وهو ما رسّخ بدوره معتقد الأصوليين اليهود باستحالة تقسيم القدس وبقائها موحدة لتكون عاصمة العقيدة اليهودية والعاصمة الأبدية لإسرائيل.

فهناك من الحاخامات من يعد «أرض إسرائيل» هي فقط أرض كنعان أو فلسطين، وآخرون من الأصوليين الحريديم يتمسكون بما ورد في التوراة وتحديداً في سفر التكوين الإصحاح 12:15 بشأن الأرض التي وعد الرب بمنحها إلى سيدنا إبراهيم ولشعبه، حيث ورد نصاً: فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقاً قَائِلاً: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ[8].

وحسب المصادر اليهودية أن حدود هذا الوعد الإلهي، تمتد بين النهرين الكبيرين، وادي مصر، وهو ما يبدو أنه وادي العريش، ونهر الفرات في أرض الرافدين، وحسب المصادر اليهودية أن هذا الوعد لم يتحقق بصورته المثلى إلا في عهدي داود وسليمان[9].

فعندما نعود بالتاريخ إلى أواخر السبعينيات من القرن الماضي يتكشف لنا مدى تأثير الأصولية اليهودية على سياسة إسرائيل الخارجية فيما يتعلق بالسلام، فقد كشف أرشيف

الدولـة عن وثائـق قديمة، كان مـن بينها خطابات للحاخام «شـلومو جوريـن» الحاخام العسـكري الأول في جيـش الاحتـلال، وثالـث رئيـس لحاخامـات اليهود الأشـكناز في إسرائيـل مـن 1973 إلى 1983، فهو من أفتى لرئيس الوزراء الإسرائيلي الأسـبق «مناحيم بيغن» بأن سـيناء ليسـت جزءاً من «أرض إسرائيل»، وهو ما دفع بيغن لتفكيك مستوطنة ياميت رغم معارضة الأصولية اليهودية لذلك الأمر.

ووفق ما ورد عن أرشـيف الدولة، فقد كان هناك تبادل خطابات مهمة تمت بين «بيغن» والحاخـام «جوريـن» والحاخام «تسـفي يهـودا هكوهين كوك» الذي وبـخ جورين على فتـواه لـ«بيغـن»، فبعد فترة وجيـزة من تولي بيغن السـلطة، بـدأت المحادثات مع مصر تتطـور إلى محادثات سـلام، وبعدها وقّع البلدان على اتفاقية كامـب ديفيد، التي أعادت سيناء كاملة إلى مصر[10].

وفي ضـوء هذه الإشـكالية، تنهال العديد من التسـاؤلات من قبـل الإسرائيليين على كبار الحاخامـات الحريديـم للفتوى عـما إذا كانت سـيناء بالفعل هي جزء مـن أرض إسرائيل الكاملـة أم لا، حيـث أوضـح الحاخـام الإسرائيـلي المتطـرف شـموئيل إلياهـو (حاخـام مدينـة صفـد، وعضو مجلس الحاخامية الكبرى في إسرائيـل) في فتوى نشرها موقع «كيبا» الإخبـاري الحريدي بتاريخ 25 أيلول/ سـبتمبر 2005 أن هنـاك خلافات عما إذا كان نهر مـصر هـو النيل، فإذا كان نهر مصر هو النيل، تعد سـيناء هي جزء مـن الأرض الموعودة، وإذا ما كان وادي العريش يكون فقط جزء من سيناء هي أرض إسرائيل[11].

في خضم هذه الإشـكالية، أكد شـلومو آفينـر، أحد الزعماء الدينيـين في إسرائيل وحاخام مسـتوطنة بيـت إيل في فتوى نشرها موقـع «سروجيم» الإخباري لشـؤون القطاع الديني بتاريخ 30/ 7/ 2012 أنه بالرغم من أن سـيناء تقع ضمن أرض إسرائيل التوراتية إلا أنها ليست جزءاً من دولة إسرائيل وبالتالي يحظر التنزه فيها إلى جانب ما بها من مخاطر[12].

وفي سـياق إشكالية أن سـيناء ليسـت جزءاً من دولة إسرائيل، يوظف الأصوليون اليهود مشروع إقامة الوطن البديل للفلسـطينيين في سـيناء، حيث سبق وأن أفتى بذلك الحاخام «نير بن أرتسي» في مسـتهل خطبته الدينية الأسـبوعية التي نشرها موقع «كيكار هشابات» الإخبـاري الحريـدي بتاريـخ 20/ 10/ 2017 والتـي تحدث خلالها عن فكـرة إقامة دولة فلسـطينية في سـيناء، قائلاً: «الفلسـطينيون الذيـن يزعمون أن ليس لديهـم مكان للعيش

فيه، الرب يقدم لهم مشروعاً، لإقامة دولة فلسطينية من رفح المصرية إلى البحر ومصر والعيش مثل الملوك. فإذا ما كانت عشرات المليارات التي يرميها العالم بسبب الكوارث الطبيعية ستسمح للفلسطينيين بإنشاء دولة في صحراء سيناء، فستكون هادئة بالنسبة لتلك البلدان»[13].

هكذا بدا واضحاً مدى تأثير الأصولية اليهودية على آليات السياسة الخارجية المتعلقة بالحلول المستقبلية البديلة لإقامة دولة فلسطينية على أساس حل الدولتين، حيث أصبح الحديث بشأنها مجرد إضاعة للوقت وتبادل اتهامات بين التكتلات الحزبية في إسرائيل واستغلال شق الصف الفلسطيني؛ لخلق ذريعة تحول دون إيجاد حل للقضية الفلسطينية لتبقى معلقة إلى أجل غير مسمى.

ثانياً- القدس في الخطاب الإعلامي الإسرائيلي:

في ظل ما تتعرض له مدينة القدس من هجمة شرسة للسيطرة عليها، تحاول دولة الاحتلال عبر ترسانتها الإعلامية ترسيخ تغيير الجغرافيا كما حاولت تحريف التاريخ وتزويره، مستغلة المنابر والفضائيات الإسرائيلية لتأصيل معتقد الأصل اليهودي لمدينة القدس وأنها العاصمة الأبدية لليهودية، وإثبات الحق الديني والتاريخي المزعوم لليهود فقط في القدس، وفرض سياسة الأمر الواقع على المدينة.

ولذلك بلور الاحتلال سياسة إعلامية خاصة لشكل المعالجة الإعلامية للأحداث في القدس منذ بداية الصراع على المدينة المقدسة، حيث وضع مبادئ أساسية في تغطيته الإعلامية، تقوم في الأساس على المرجعية الدينية والتاريخية في إستراتيجيات الإقناع للجمهور المتلقي وذلك لإضفاء الطابع العقلاني والوجداني على ارتباط اليهود بالمدينة المقدسة، والادعاء بوجود تراث ثقافي يهودي فيها.

وتعتبر المؤسسة السياسية الإسرائيلية أدوات الإعلام المختلفة: المقروءة، المسموعة، المرئية، الإلكترونية، جزءاً من حربها ضد المقدسيين، حيث تشنّ هجوماً عدائياً مبرمجاً يستهدف التأثير على عقلياتهم ونفسياتهم، ليصيبهم الوهن والإحباط والتفكك والاضطراب، وهي عملية تتميز بأنها سريعة هادئة تعتمد على الاستدراج البطيء.

ولذلك تحاول وسائل الإعلام الإسرائيلية إدخال بعض المصطلحات والمفاهيم ذات

الطابع الصهيوني واليهودي من أجل ترسيخ المعتقدات والسياسات الإسرائيلية، ومن هذه المصطلحات ما تطلقه وسائل إعلام إسرائيلية على حائط البراق باسم «الحائط الغربي أو «هكوتل» بالعبرية، وكأن هناك حقّاً لهم في الحرم القدسي الشريف الذي تسميه «הר הבית جبل الهيكل»، والقدس «يروشاليم».

كما تستخدم مصطلحات «الحوض المقدس»، وهو المشروع التهويدي بحي الشيخ جراح شمالاً، مروراً بالبلدة القديمة ووصولاً إلى بلدة سلوان وسفح جبل المكبر بهدف إضفاء صبغة يهودية على ملامح المدينة، وكذلك المصطلح الصهيوني «مدينة داود» الذي يطلق على بلدة سلوان (جنوب المسجد الأقصى) من أجل تهويدها، حيث تم إطلاق اسم مدينة الملك داود عليها، بعد أن فشلت كل محاولات التنقيب في العثور على أثر بارز فيها يشير إلى وجود مملكة داود مكانها، كما برزت غيرها من المصطلحات الصهيونية الواردة في الإعلام الإسرائيلي؛ لمحاولة ترسيخ المسميات اليهودية للأبواب والأحياء في مدينة القدس، فهي باستخدام هذه الأسلحة الإعلامية تشارك في محاولة التغيير والتزييف.

كما تسعى وسائل الإعلام الإسرائيلية كذلك إلى تشويه الحقائق لتغيير التاريخ والواقع، والتسليم بمزاعم تاريخية وكأنها حقائق، عبر المساهمة في محاولة الإقرار بالوجود اليهودي، وبالحق التاريخي في فلسطين، والقبول بالأساس العقائدي الصهيوني لدولة الاحتلال، والتسليم بالقوانين والأمر السياسي المفروض، وتعرض مثلاً مسجد قبة الصخرة وكأنه المسجد الأقصى، حتى لو انهار لا يجد الصدى المطلوب لدى المسلمين.

كما تعرض وسائل الإعلام الإسرائيلية مدينة القدس وكأنها مدينة موحدة، حيث تسهم في محاولة فرض وقائع سياسية على الأرض، يتم ذلك عن طريق متابعة الحدث أولاً بأول، والتحيز لوجهة النظر الاستيطانية والسياسية.

وفي ضوء اتباع سياسة التعتيم الإعلامي لا تظهر وسائل الإعلام الإسرائيلية الاعتداءات اليهودية على المصلين في المسجد الأقصى، ولا تعرض كذلك الهجوم الاستيطاني الشامل الرامي لتفريغ القدس من أهلها، ومخطط تغيير معالم القدس.

في المقابل، تخصص وسائل الإعلام الإسرائيلية برامج يومية في الفضائيات ووسائل الإعلام على تاريخ القدس «اليهودي»، وقيام المثقفين والباحثين بدورهم في رصد وتحليل وتوثيق هذه المعالم التاريخية «المزعومة»، من خلال الأبحاث والوثائق والوسائل الإعلامية.

انتهج الإعلام الإسرائيلي منذ بداية الصراع على مدينة القدس، مبادئ أساسية في حديثه وتغطيته لأحداثها، من أهمها اللمسة الإنسانية بما يضفي الطابع الإنساني والشخصي على ارتباط اليهود بالمدينة المقدسة، والاعتراف بوجود ثقافي يهودي فيها.

ثالثاً- إستراتيجيات الخطاب الإعلامي الإسرائيلي نحو القدس:

يتكون الإطار الإعلامي للخطاب الإسرائيلي من عدد من المحددات التي تخضع عامة للخط المسموح به للنشر، وفق ما تحدده الرقابة العسكرية، خاصة فيما يتعلق بمسألة الأمن، حيث كان ولا يزال إعلاماً ذا مدلولات أمنية، فهو مرتبط وموجّه، ويحتل العامل الأمني مركز الأهمية القصوى في تعامل الحكومة وبلدية القدس معه.

ولذلك يعمل الإعلام على ترسيخ آراء مختلفة ومشوشة في نفوس الجمهور العربي الفلسطيني في ظل ضعف الإمكانيات لتوفر وسائل أخرى قادرة على التصدي له، ومقاومة هذا التأثير، لاسيما باتجاه تثبيت المزاعم اليهودية في المدينة المقدسة.

وعلى ضوء ذلك، تبذل الحكومة الإسرائيلية بمختلف وزاراتها جهوداً حثيثة على المستوى الإعلامي تحقيقاً لأهدافها السياسية، عبر سلسلة من الإدارات المتخصصة، لاسيما وزارة الخارجية التي تعتبر بكاملها جهازاً إعلاميّاً متكامل النشاطات، بل هي ركيزة الإعلام الإسرائيلي الخارجي، الموجه لدول وشعوب العالم الخارجي، الساعية للحصول على تأييد دولي عالمي فيما يتعلق بتثبيت الهوية اليهودية للقدس، لاسيما عند الحديث عن الاستيطان وتوسيع الأحياء اليهودية.

ولذلك تُعنى مكاتب الإعلام الحكومية بالدرجة الأولى، بنشر المعلومات عن البلدية ونشاطاتها، وأهدافها ومنجزاتها، وعلى وجه الخصوص كل ما يتصل بترسيخ الهوية اليهودية للمدينة بوجه خاص، وتعميق ارتباطها وولائها للدولة.

كما تستقطب الدوائر الإعلامية الإسرائيلية كوادر إعلامية من جميع بلدان العالم، خاصة أميركا وأوروبا، لإعداد تقارير صحفية عن القدس ويهوديتها وأحقيتهم بها، والتعاقد مع شركات كبرى تعمل في مجال الدعاية، وكسب الرأي العام.

ولذلك تقوم الدوائر الرسمية الإسرائيلية بتسفير إعلاميين وصحفيين يهود للخارج،

لتعميم تلك الثقافة المطلوبة، عبر مطويات ونشرات ووسائل دعائية تكلف الملايين، لنشرها وبثها عبر عواصم العالم.

هناك عدة مستويات في التعامل مع القدس من قبل الإعلام الإسرائيلي، القاسم المشترك بينها: إجماعها على إنكار الحق الفلسطيني في مدينة القدس بشكل عام، وهو ما يفسر نجاح إسرائيل في الوصول إلى الرأي العام العالمي، خاصة الأميركي، ونقل توجهاتها ومواقفها فيما يتعلق بالقدس وغيرها، ولذلك نرى تحيز وسائل الإعلام الأميركية والغربية عموماً إلى جانب إسرائيل، وتبنيها موقفها في النظر للقدس باعتبارها «العاصمة الأبدية الموحدة لها»، وفي الوقت نفسه تجاهل وسائل الإعلام هذه، ما يعانيه أصحاب وأهل المدينة الحقيقيين بفعل الاحتلال الإسرائيلي وممارساته[15]..

وعلى ضوء ذلك، سعت حكومة الاحتلال عبر ترسانتها الإعلامية الموجهة، ليس فحسب للجمهور الإسرائيلي باللغة العبرية، بل أيضاً الموجهة إلى الجمهور الفلسطيني والعربي عبر قنواتها ومواقعها الإخبارية الموجهة بالعربية وكذلك للمجتمع الأوروبي بلغات أجنبية مختلفة إلى إملاء سياسة الأمر الواقع في مدينة القدس؛ لإقناع العالم أجمع بأحقية إسرائيل واليهود وحدهم دون كل الأديان في القدس باعتبارها وفق معتقداتهم مدينة يهودية وعاصمة أبدية لإسرائيل، حيث يسير كل الساسة في خطابهم السياسي والإعلامي على ما قاله ديفيد بن غوريون أول رئيس لحكومة الاحتلال: «سنحتفظ بالقدس إلى الأبد على الرغم من جميع القرارات التي ستتخذها الأمم المتحدة، فالقدس عاصمة إسرائيل على امتداد ثلاثة آلاف عام وستبقى كذلك في المستقبل».

إلى جانب ذلك، غالباً ما يعمد الخطاب الإعلامي الإسرائيلي للتأكيد على مصطلح «القدس الموحدة والأبدية» الذي يؤكد عليه الساسة في خطابهم الإعلامي، فبعدما ضمت سلطات الاحتلال القسم الشرقي من القدس إلى القسم الغربي وتم قتل أكثر من ثلاثة آلاف مواطن وتشريد 15 ألف نسمة في الأيام الأولى من الاحتلال عام 1967، بدأت إسرائيل في سياسة تهويد مدينة القدس عبر سلسلة من الإجراءات لتغيير معالمها بعدما استولى الاحتلال على مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية.

فقد عملت الآلة الإعلامية آنذاك على شرعنة المرتكزات الاستيطانية التي نفذتها سلطات الاحتلال، حيث باشرت مساندتها للانتهاكات الإسرائيلية بإحاطة مدينة القدس

بمجموعة من الأطواق الاستيطانية لمحاصرتها وعزلها عن بقية الضفة الغربية.

وقد استطاع الاحتلال من خلال الأطواق الاستيطانية حول مدينة القدس إقامة آلاف الوحدات الاستيطانية وإسكان آلاف المستوطنين؛ مما أدى إلى عزل الأحياء الفلسطينية وتحويلها إلى مجموعة من الجزر المعزولة المقسمة، حيث لايستطيع الفلسطينيون التحرك بحرية داخل الأراضي المحتلة. كما تجلى دور الآلة الإعلامية في إبراز نجاح الاحتلال في عزل الأحياء الفلسطينية وجعلها جزراً معزولة مقسمة، حيث لايستطيع الفلسطينيون التحرك بحرية داخل الأراضي المحتلة[16].

ولذلك يعمل الخطاب الإعلامي الإسرائيلي على إفراد مساحة كبيرة من التغطية الإعلامية لذكرى ما يُسمى في المعتقدات الصهيونية بـ»يوم توحيد القدس»، وطبقاً للتقويم العبري يحتفل الإسرائيليون بهذه المناسبة في شهر مايو/ أيار، فيما يحيي الفلسطينيون في شهر حزيران/ يونيو ذكرى نكسة 1967 التي احتلت إسرائيل خلالها الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية، وقطاع غزة.

على سبيل المثال تعمدت القنوات الإسرائيلية في معالجة حدث الذكرى السنوية الـ53 لاحتلال القدس الشرقية لعام 2020، نقل بثّ حي لوقائع الاحتفال من خلال إبراز تنظيم المتشددين الإسرائيليين لمسيرات في القدس الشرقية المحتلة وأجواء الاحتفال الاستفزازية بالأعلام، والتي نظمت هذا العام بالسيارات ومن خلال شاشات عرض كبيرة على خلفية تفشي وباء كورونا. كما حرصت كذلك الصحف والمواقع الإخبارية على تغطية الحدث بمصاحبة المواد الإعلامية بالفيديوهات التي توثق المسيرات التي انطلقت من القدس الغربية، مروراً بالشوارع الملاصقة لأسوار القدس القديمة وصولاً إلى حائط البراق بتجمعات كبيرة من الإسرائيليين. وفي ضوء ذلك عملت صحيفة «يسرائيل هيوم» العبرية الداعمة لرئيس حكومة الاحتلال والتي تعد من أكثر الصحف العبرية توزيعاً للنسخ المطبوعة على إبراز مشاركة الأسر والأطفال في الحدث[17]. وكأن يوم احتلال القدس الشرقية بالنسبة لهم بمثابة يوم توحيد الجمهور الإسرائيلي تحت راية الاحتلال للأراضي الفلسطينية.

وفي هذا الصدد، عمد الخطاب الإعلامي الإسرائيلي التخديم على مصالح رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو قبيل إجراء الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة، وذلك في محاولة منه لكسب أصوات اليمين. وفي هذا الصدد أبرزت «يسرائيل هيوم» كلمة نتنياهو

للإعـلان عن بناء آلاف الوحدات السـكنية في القدس الشرقية في شـباط/ فبراير 2020، حيث بدأها بعبارة «بشرى عظيمة» لقيامه بربط جميع أنحاء القدس «الموحدة»، معلناً إقامة حي «جبل حوما 5» (جبل أبو غنيم) والذي سيقام به 2200 وحدة سكنية جديدة، حيث تعمد نتنياهو التنويه إلى تأسيسـه لهذا الحي عندما انتُخب لأول مرة رئيساً للحكومة عام 1997[18]. فيما تجاهلت الصحيفة الإشـارة إلى ردود الأفعال الفلسـطينية التي اسـتنكرت إصرار نتنياهـو على بنـاء آلاف الوحدات الاسـتيطانية على «أراضي دولة فلسـطين تمهيداً لتنفيـذ صفقة ترامب المخالفة لكل قرارات الشرعية الدولية والقانون الدولي، الذي يعتبر الاستيطان الإسرائيلي كله غير شرعي في جميع الأراضي الفلسطينية»..

وعـلى جانب آخر، عند النظر إلى معالجة الخطاب الصحفي للمواقع الإخبارية المحسـوبة عـلى اليسـار الإسرائيـلي لموضـع القـدس في صفقة ترامـب للسـلام، فقـد رأت صحيفة «هآرتـس» في معالجتها الإعلامية أن تقسـيم القدس لم يعد صالحـاً وبقاءها مدينة مفتوحة بـات أكثر واقعية، حيث اعتمدت في حجاجية خطابها الإعلامي على ما ورد عن واضعي اتفاقيـة جنيـف الصادرة في العـام 2003، حيث أعادوا النظـر في توصياتهم، التي اقترحوا فيها تقسـيم القدس وفقـاً لحدود ما قبل عام 1967 مع بعـض التعديلات، حيث خلصوا إلى أن فكرة تقسـيم مدينة القدس لم تعد صالحة، واقترحوا حل الدولتين، مع بقاء القدس مدينة مفتوحة، دون تقديم أي حل للمشكلات الأمنية التي يستلزمها هذا الخيار[19].

ومروراً بتناول الخطاب الصحفي الإسرائيلي لقضية القدس، فقد أجرت صحيفة «معاريف» العبرية المحسوبة على اليمين مقابلة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إيهود باراك بتاريخ 8 أيـار/ مايو 2020، كشـف خلالها عـن بعض تفاصيل مفاوضاته مع الرئيس الفلسـطيني الراحل ياسر عرفات في كامب ديفيد بوساطة أميركية عام 2000، حيث حمّل باراك عرفات مسؤولية فشل المفاوضات بسبب رفضه تقديم أي تنازلات بشأن القدس[20]، وهو ما يؤكد التزام القيادات الفلسطينية بالحفاظ على القدس عاصمة للدولة الفلسطينية المنشودة.

ومـروراً بالحديث عـن معالجة المواقع الإخبارية المحسـوبة على تيار اليمين وسـط لقضية القـدس، نجد أنها لاتختلف في نفس التوجه لنظائرها من المواقع الإخبارية المحسـوبة على تيار اليمين المتشـدد، وفي ضوء ذلك أبرزت صحيفة معاريف في تقرير آخر لها بتاريخ 25 أيـار/ مايـو 2020 جهود رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهـو لتهويد القدس، حيث خصـص مبلـغ 200 مليون شـيكل لتطوير وتعزيز القـدس، حيث نقلت عـن نتنياهو أن

هذه الخطوة مهمة بالنسبة لإسرائيل في عصر كورونا ليمضي في تأكيد مزاعمه أن القدس ستبقى دائماً في أولويات حكومته[21].

وعلى جانب آخر عند النظر إلى معالجة الخطاب الإعلامي الإسرائيلي الموجه باللغة العربية للجمهور الفلسطيني والعربي المستهدف لقضية القدس، نجد أنه سعى لتبييض وجه قيادات الاحتلال من أعمالهم الإجرامية. على سبيل المثال الحادثة الأخيرة لمقتل الشاب المقدسي إياد الحلاق (32 عاماً) من ذوي الاحتياجات الخاصة برصاص عناصر من الشرطة الإسرائيلية، حيث تعمد الخطاب الإعلامي توظيف الاستمالات العاطفية في إستراتيجيات الإقناع مع توظيف الإطار الإنساني باعتباره إطاراً مرجعيّاً للخطاب. وفي هذا الصدد نشرت قناة i24 News الإسرائيلية الدولية تقريراً إخبارياً بتاريخ 30 أيار/ مايو 2020 تحت عنوان «كيف ردّت إسرائيل على مقتل الشاب ذي الاحتياجات الخاصة في القدس؟»، أبرزت خلاله تنديد عدد من أعضاء الكنيست بمقتل الحلاق برصاص الشرطة الإسرائيلية في مدينة القدس. فيما برز اتّباع الاحتلال سياسة الكيل بمكيالين، ففي الوقت الذي شاطر فيه الوزير المسؤول عن الشرطة عائلة الحلاق الألم، رفض انتقاد عناصر الشرطة قائلاً: «لن نتسرع بمحاكمة عناصر الشرطة قبل انتهاء التحقيق»، مبرراً بأنهم يطالبونه باتخاذ قرارات مصيرية في ثوانٍ، على حد زعمه[22].

ومروراً بالمحاولات الصهيونية لوصل مستوطنات الضفة الغربية بالقدس، فقد أبرز خطاب الإعلامي الإسرائيلي مميزات البدء بتشييد مشروع «الطريق الأميركي» الذي يوصل مستوطنات الضفة الغربية بالقدس، حيث سوّق مسؤول في بلدية القدس له إعلامياً في سياق تصريحاته لوكالة رويترز الأميركية ليؤكد على أهمية المشروع في تقليص أوقات السفر في القدس الشرقية، وقد وظف موقع تايمز أوف إسرائيل في نسخته العربية الإطارين الإنساني والأمني في معالجته الإعلامية، حيث أبرز الموقع تأكيدات مسؤولين في البلدية للوكالة الأميركية بأن الطريق سيربط المستوطنات بالمدينة، إضافة إلى تقليص أوقات السفر لأحياء القدس الشرقية، حيث من المقرر الانتهاء منه في صيف عام 2021. وعلى جانب آخر استشهد الموقع الإسرائيلي في سياق التناول برد الفعل الفلسطيني في آخر التقرير المنشور بوصفه بالموقف المعارض، وهو ما يتنافى جملة وتفصيلاً مع سلب حقوق السكان الأصليين في أرضهم، حيث وصفت تصريحات فادي الهدمي، وزير شؤون القدس الفلسطيني، لوكالة الأنباء رويترز بأنها ادعاءات، حيث أكد المسؤول

الفلسطيني فيها أن المشروع يعزل الأحياء الفلسطينية داخل المدينة عن بعضها البعض.. ويقوض إمكانية قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشرقية[23]. هكذا تحاول المواقع والصحف العبرية التخديم على سياسات الاحتلال والحكومة الإسرائيلية بتقويض حقوق الفلسطينيين في القدس وكأنهم غير موجودين بشكل فيه تحيز إعلامي مطلق يتنافى مع المهنية في التغطية والمعالجة الإعلامية لقضية القدس، حيث لم تختلف وسائل الإعلام الإسرائيلي على اختلاف توجهاتها في التغطية الإعلامية الرامية على ترسيخ المعتقدات الصهيونية بأن القدس هي العاصمة الأبدية للعقيدة اليهودية.

رابعاً- خلاصة النتائج العامة:

مما سبق، يمكن استخلاص عدد من النتائج في ضوء الشواهد المطروحة عن وضعية القدس في الخطاب الأصولي والإعلامي الإسرائيلي في النقاط التالية:

- بدا لنا في ضوء تحليل الخطاب الأصولي للحاخامات اليهود مدى تأثيره على سياسة إسرائيل في التعامل مع القضية الفلسطينية ورفضها المطلق لفكرة التنازل عن أي شبر من الأراضي الفلسطينية المحتلة.
- أصبح المسؤولون الإسرائيليون على قناعة تامة بأنه لا تفاوض مستقبلي بشأن مسألة تقسيم القدس، وهو ما تجلّى لنا في ضوء قراءتنا التحليلية للخطاب الإعلامي لقادة الاحتلال بشأن القدس، معتبرين إياها بمثابة عاصمة أبدية لإسرائيل لا تفاوض بشأن تقسيمها في أي اتفاق مستقبلي مع الجانب الفلسطيني.
- التركيز الإعلامي الواضح على المدينة بشقّيها وعدم الحديث عن قدس شرقية وأخرى غربية بل قدس موحدة، باتت تحتضن الفعاليات والمناسبات والاحتفالات.
- عدم توقف المخططات الصهيونية لأيقنة المصطلحات المتعلقة بأسماء بلدات المدينة وفق مخطط التهويد وتغيير المعالم في القدس.
- في ظل ما تتعرض له القدس والمسجد الأقصى من هجمة إسرائيلية وحشية، تسعى دولة الاحتلال جاهدة لاستغلال الثورة الإعلامية، والمنابر والفضائيات الإسرائيلية لترسيخ وجودها في المدينة المقدسة، وإثبات الحق الديني والتاريخي المزعوم لليهود دون غيرهم، وفرض الأمر الواقع على المدينة.
- يتضح أن أداء الإعلام الإسرائيلي في قضايا مهمة كالقدس، يدلل بما لا يدع مجالاً

للشك أن وسائل الإعلام تتجند لتسويغ السياسة الحكومية، وتحاول تسويق الرواية الرسمية رغم تفاخر الإعلام الإسرائيلي باستقلاليته وحريته، إلا أن طريقة تغطيته ومعالجته لقضية القدس تثير تساؤلات عديدة، فهي تعتمد على مرتكزات إعلامية محددة لتحقيق غاياته، للإسهام في توعية الجمهور الإسرائيلي -المستهدف الأول- بالتاريخ، وبالقواسم المشتركة، ومحاولة صهر الإسرائيليين في بوتقة واحدة.

خامساً- سبل وآليات المواجهة:

بدا واضحاً في ضوء استعراض معالجة الخطاب الإعلامي الإسرائيلي لقضية القدس على مدار الأشهر الماضية، بدءاً من كانون الثاني/ يناير وحتى حزيران/ يونيو 2020 كعينة زمنية للتحليل أنه لا فرق في الموقف الإعلامي بين المواقع والصحف المحسوبة على تيار اليسار الإسرائيلي أو المحسوبة منها على تيار اليمين في شكل المعالجة تجاه مدينة القدس.

وفي ضوء ذلك، قمنا بوضع بعض التوصيات لسبل مواجهة خطاب الدعاية والإعلام الإسرائيلي نحو قضية القدس، وذلك على النحو التالي:

- العمل على الارتقاء بالمستوى المهني للخطاب الإعلامي الفلسطيني في نشرات الأخبار والبرامج السياسية، وكذلك في الصحف والمواقع الإخبارية وعدم الوقوع في خطأ ترديد الأسماء اليهودية لملامح الأحياء بالقدس.

- العمل على مخاطبة المجتمع الدولي إعلامياً بلغات مختلفة لمجابهة الخطاب الإعلامي الإسرائيلي الموجّه لدول أوروبا لكسب تعاطفهم مع إسرائيل وإعطائها الأحقية في السيطرة على القدس بأكملها.

- ابتكار أساليب إعداد جديدة بوسائل مستحدثة لنقل رسالة الشعب الفلسطيني بشكل عام وقضايا الاستيطان الإسرائيلي بشكل خاص، بما في ذلك في مدينة القدس للمجتمع الدولي لكسب مزيد من التعاطف.

- ضرورة إيجاد آلية تنسيق بين مختلف الجهات التي تقوم بحملات إعلامية للقدس، حتى لا تتضارب هذه الحملات في مضامينها وتوقيتاتها، والفئة المستهدفة منها.

- حاجة المؤسسات العاملة من أجل القدس للاستفادة من الأجواء الإعلامية المناسبة التي تخلقها المؤسسات الإعلامية لجمع الدعم المادي لخدمة المدينة المقدسة.

- تعميق الخبرات وتبادلها، وتوحيد المصطلحات وتعميمها، والاستفادة من التجارب المختلفة.

الهوامش

(1) محمد خليفة: الصهيونية الدينية وأثرها على المجتمع الإسرائيلي، مركز الدراسات الشرقية، رسالة المشرق المجلد السابع، العدد من الأول إلى الرابع، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 1998 ص 23-25.

(2) محمد خليفة: عروبة القدس في التاريخ القديم مع تحليل نقدي لصورة «أورشليم» في العهد القديم، رسالة المشرق المجلد الرابع، العدد من الثاني إلى الرابع، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 1995، ص48.

(3) محمد خليفة: البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي، ط2 سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية العدد (8)، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة 2005 ص 25-27.

(4)بنيامين نتنياهو: «لا يوجد مستقبل يهودي من دون التناخ»، موقع «كيكار هشابات» بتاريخ 3/ 10/ 2017، https: / /www.kikar.co.il /abroad /251991.html

(5) الحاخام إلياهو: من يجلس في السجن- سيصل في النهاية لسدة الحكم، موقع «كيبا»، بتاريخ 23 كانون الثاني/ يناير 2019 https: / /www.kipa.co.il/ 12:27

(6) الحاخام إلياهو يدعم شاكيد وبينت: الجيش ينبغي أن يتصرف بقوة، موقع «عاروتس شيفع»، 20/ 11/ 2018 7)387015 /News.aspx /News /www.inn.co.il / :https) نير بن أرتسي: لا ثقة في أي عربي ينبغي دائماً الاشتباه، موقع «كيكار هشابات» http: / /www.kikar.co.il /187215.html 04 , 12 , 15 08:10

(8) الكتاب المقدس، العهد القديم، دار الكتاب المقدس، ط 5 القاهرة 2005 ص 11.

(9) سامي الإمام: الفكر العقدي اليهودي «موسوعة الجيب» القاهرة. د.ت ص 20.

(10) انظر، موقع سروجيم العبري، 18 , 01 , 29 13:40

https: / /www.srugim.co.il /

(11) انظر، فتوى: هل سيناء هي جزء من أرض إسرائيل؟، موقع «كيبا» الإخباري بتاريخ 25 أيلول/ سبتمبر 2005 https: / /www.kipa.co.il

(12) انظر، تصريحات الحاخام أفينر: سيناء هي جزء من أرض إسرائيل ولكن يحظر التنزه هناك موقع srugim العبري، 12 , 07 , 30 https: / /www.srugim.co.il 10:08

(13) انظر، الخطبة الأسبوعية للحاخام نير بن أرتسي، موقع «كيكار هشابات» الحريدي،

20 , 10 , 17 13:00 https: / /www.kikar.co.il /abroad /253321.html

(14) انظر، تصريحات جميلئيل: دولة فلسطينية؟ فقط في سيناء، موقع «عاروتس شيفع» العبري، 10/ 11/ 17 ، 08:32

https: / /www.inn.co.il /News /News.aspx /359018

(15) عدنان أبو عامر: القدس في الإستراتيجية الإعلامية الإسرائيلية والإستراتيجية الفلسطينية المضادة، ورشة عمل، مؤسسة القدس الدولية- اسطنبول كانون الأول/ ديسمبر 2012.

(16) محمد أبو الفحم: الاستيطان خلايا سرطانية، دار بن رشد، القاهرة 2017، ص93-95.

(17) שידורחי: ריקודהדגליםבירושלים

https: / /www.israelhayom.co.il /article /763163

(18) נתניהו: «נוסיף 2,200 יחידותבהרחומה»

https: / /www.israelhayom.co.il /article /735229

(19) אפילוביוזמתז'נבהכברלאבטוחיםשאפשרלחלקאתירושלים

https: / /www.haaretz.co.il /news /politics /.premium-MAGAZINE-1 , 8499280

(20) אהודברקחוזרלקמפדייווידי: "לאבאנולהתאבד" | בלעדילמעריב

https: / /www.maariv.co.il /news /politics /Article-764167

(21) נתניהו: «הנחיתילגבשתכניתמיוחדתבסך 200 מיליוש"חלפיתוחירושלים»

https: / /www.maariv.co.il /breaking-news /Article-767430

(22) كيف ردت إسرائيل على مقتل الشاب ذي الاحتياجات الخاصة في القدس؟، موقع قناة i24NEWS 30 أيار/ مايو 2020 11:05

http: / /ar.timesofisrael.com /topic / %D8 %A7 %D9 %84 %D9 %82 %D8 %AF %D8 %B3 /

(23) البدء بتشييد «الطريق الأميركي» الذي يوصل مستوطنات الضفة الغربية بالقدس تايمز أوف إسرائيل 16 حزيران/ يونيو 2020, 19:50.